

# الاستغفار سراج ظلمة الذنوب

د. ماجد عبدالرزاق خلف

مديرية الوقف السني - الأنبار

الايمل : [Majid62abd@gmail.com](mailto:Majid62abd@gmail.com)

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، هو الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم الوهاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من استغفر ربه وأناب صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله المكرمين وسائر الأصحاب، المستغفرين بالأسحار، وآناء الليل وأطراف النهار، وبعد: فإن الاستغفار من الذنوب من أعلى صفات العبد الايمانية، وأبهى كمالاته الذوقية، فبه يدرك العبد حاجته الى مولاه تعالى، ويقر بأنه محط الخطايا والذنوب والنقص، فيتوجه الى الله تعالى لغفران ذنبه، وإكمال نقصه، ومحو خطاياه، والذنوب ظلمة في القلوب، كل ذنب ينكت في القلب نكتة سوداء، لا ينجلي هذا السواد والظلام إلا بنور الاستغفار، ولأجل تسليط الضوء على هذه الحقيقة جعلت بحثي موسوماً ب (الاستغفار سراج ظلمة الذنوب) أبين فيه حقيقة الاستغفار والذنوب، وأوضح فيه كيف يكون الاستغفار سراج يضيء القلب إذا ما داهمته ليالي الذنوب ذات الظلام الحالك، وجعلته منظوياً على ثلاثة مباحث مع مقدمة وخاتمة، وكما يأتي:

المبحث الاول: تعريف الاستغفار، والذنوب، ومعنى السراج، والظلمة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الاول: ماهية الاستغفار لغة واصطلاحاً:

المطلب الثاني: حد الذنوب لغة واصطلاحاً:

المطلب الثالث: معنى السراج لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: معنى الظلمة لغة واصطلاحاً:

المبحث الثاني: أنواع الذنوب، وخطرها على القلوب، ونتائجها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: أنواع الذنوب:

المطلب الثاني: أثر الذنب على القلب:

المطلب الثالث: النتائج السلبية للذنوب على الانسان والمجتمع:

المبحث الثالث: فضل الاستغفار، ومحوه لظلام القلب وسواده، وفائدته، وفيه مطلبان:

المطلب الاول: فضيلة الاستغفار في الكتاب والسنة والآثار:

المطلب الثاني: أثر الاستغفار في صقل القلب:

الخاتمة.

وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية، والإعانة لإكمال ما بدأت، وتوصيل المراد مما إبتغيته، فإنه نعم المولى ونعم المعين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

**المبحث الاول: تعريف الاستغفار، والذنوب، ومعنى السراج، والظلمة، وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الاول: ماهية الاستغفار لغة واصطلاحاً:**

أولاً: الاستغفار لغة: استغفر يستغفر، وهو مأخوذ من مادة (غ ف ر) التي تدل على الستر في الغالب الأعم، فالغفر الستر والغفر والغفران بمعنى واحد، يقال: غفر الله ذنبه غفراً ومغفرة وغفراناً.<sup>(١)</sup> وقال ابن منظور: "أصل الغفر التغطية والستر يقال: اللهم اغفر لنا مغفرةً. واستغفر الله ذنبه على حذف الحرف طلب منه غفرةً"<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الاستغفار اصطلاحاً: تتوعد عبارات العلماء في تعريف الاستغفار، وتعددت كلماتهم فيه، وكلها تهدف إلى الكشف عن حقيقة وبيان معناه الشرعي. قال الطبري -رحمه الله-: الاستغفار هو طلب العبد من ربه غفران ذنوبه، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى، لأنه من المحال أن يقال: اللهم اغفر لي ذنبا لم أعمله.<sup>(٣)</sup> لكن يرد على هذا التعريف أنه لم يبين الأدعية التي يطلب بها الغفران، فتعريفه هذا تعريف مطلق، فأى استغفار دعا به المستغفر سواء كان مأثوراً عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أو غير مأثور عنهما فإن هذا التعريف يشمله. وقال أهل الكلام: الاستغفار طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية، والإعراض عنها<sup>(٤)</sup> وقيل: هو استصلاح الأمر الفاسد قولاً وفعلاً، يقال: أغفروا هذا الأمر، أي أصلحوه بما ينبغي أن يصلح<sup>(٥)</sup>. وأجد التعريف الثاني أقرب الى حقيقة الاستغفار، لما فيه من الانكسار، وهو الندم، والندم من أعظم أركان التوبة، فقد دخلت التوبة ضمناً في الاستغفار الذي هو أعم منها، وهي مقدمة عليه.

أولاً: الذنوب لغة: جمع الذنب وهو بمعنى الإثم والجرم والمعصية، وأذنب الرجل أي صار ذا ذنوب، فكل عمل مخالف للشريعة يتبعه نوع من الجزاء الدنيوي أو الآخروي أو كلاهما معاً<sup>(٦)</sup>.

ثانياً: الذنوب اصطلاحاً: واحده ذنب هو كل ما يحجبك عن الله تعالى<sup>(٧)</sup>.

### المطلب الثالث: معنى السراج لغة واصطلاحاً.

أولاً: السراج لغة: مصباح زاهر، أو كل شيء مضيء، يقال: يَكْتُبُ في ضوءِ سراجٍ، وقيل: هو مِصْبَاحُ زَيْتٍ مُكَوَّنٌ مِنْ إِنَاءٍ فِي وَسْطِهِ فِتِيلَةٌ تُضِيءُ<sup>(٨)</sup>.

اصطلاحاً: لا يختلف المعنى الاصطلاحي للسراج عن المعنى اللغوي، لذلك سَمَّى الله نبيه سراجاً منيراً؛ لِأَنَّهُ يَهْتَدِي بِهِ كَالسَّرَاجِ يَسْتَضَاءُ بِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ... مَهْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولٍ)<sup>(٩)</sup>. ولأنَّ من أناره الله برهاناً على جميع خلقه، كان جديراً بأن يكتفي به عن جميع خلقه<sup>(١٠)</sup>.

### المطلب الرابع: معنى الظلمة لغة واصطلاحاً:

أولاً: الظلمة لغة: الظلمة ذهابُ النور، وجمعها الظلم، قَالَ: وَالظُّلَامُ اسْمٌ لَذَلِكَ، وَلَا يُجْمَعُ، يَجْرِي مَجْرَى الْمَصْدَرِ كَمَا لَا يَجْمَعُ نَظَائِرُهُ نَحْوَ السَّوَادِ وَالْبَيْضَاءِ. قَالَ: وَنَيْلَةُ ظَلْمَاءٌ، وَيَوْمٌ مُظْلَمٌ شَدِيدُ الشَّرِّ، وَأَظْلَمَ فَلَانٌ عَلَيْنَا الْبَيْتَ: إِذَا أَسْمَعَكَ مَا تَكْرَهُ<sup>(١١)</sup>.

ثانياً: الظلمة اصطلاحاً: ذهاب النور، فالتقابل بين الضوء والظلمة تقابل العدم والملكة، وقيل: عرض كما اختلف في الضوء أيضاً، ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق، كما يعبر بالنور عن أضدادها، والظلمة كثيرة [من النور] لأنه ما من جنس من أجناس الأرام إلا وله ظل، وظله هو الظلمة، بخلاف النور، فانه من جنس وهو النار<sup>(١٢)</sup>.

## المبحث الثاني: أنواع الذنوب، وخطرها على القلوب، وتدابيرها، وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: أصول الذنوب والمعاصي وأنواعها:

أولاً: أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة:

١. تعلق القلب بغير الله، وهو الشرك، فغاية التعلق بغير الله شرك وأن يدعى معه إله آخر.

٢. طاعة القوة الغضبية، وهو الظلم، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل.

٣. طاعة القوة الشهوانية، وهي الفواحش، وغاية القوة الشهوانية الزنا<sup>(١٣)</sup>.

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾<sup>(١٤)</sup>.

ثانياً: أنواع الذنوب والمعاصي: الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام من حيث أصلها وبواعثها ومهيجاتها في النفوس وهي: ملكية، وشيطانية، وسبعية، وبهيمية، ولا تخرج عن ذلك:

• الذنوب الملكية: أن يتعاطى ما لا يصح له من صفات الربوبية كالعظمة، والكبرياء، والجبروت، والقهر، والعلو، واستعباد الخلق، ونحو ذلك<sup>(١٥)</sup>. ومن السنة: وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار (وفي رواية) أنقته النار"<sup>(١٦)</sup>.

• الذنوب الشيطانية: فيها التشبه بالشیطان في الحسد والبغي، والغش، والغل، والخداع، والمكر، والأمر بمعاصي الله، وتحسينها، والنهي عن طاعته، وتهجينها والابتداع في دينه، والدعوة إلى البدع والضلال<sup>(١٧)</sup>.

ودليل ذلك من الكتاب: قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾

<sup>(١٨)</sup> شؤم كبره بقول: (ءأسجد لمن خلقت طينا)، وأوقعه في الحسد حتى قال: (أرءيتك هذا الذي كرمت علي)؛ لأنه لم يعلم أن الشقاوة سبقت له من الله كما أن الكرامة والسعادة سابقة لآدم وظن أن ذلك بجهد واستجلاب، فمن لزم الكبر والحسد فهو لازم لأخلاق إبليس لعنه

الله<sup>(١٩)</sup>. وكذلك قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢٠)</sup> عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: "هُمَا هَابِيلُ، وَقَابِيلُ، كَانَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَ زَرْعٍ، وَالْآخَرُ صَاحِبَ

مَاشِيَةً ، فَجَاءَ أَحَدُهُمَا بِخَيْرٍ مَالِهِ ، وَجَاءَ الْآخَرَ بِشَرِّ مَالِهِ ، فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ أَحَدِهِمَا ، وَهُوَ هَابِيلُ ، وَتَرَكَتْ قُرْبَانَ الْآخَرَ فَحَسَدَهُ فَقَالَ {لَأَقْتُلَنَّكَ}. وفي الحديث عن ابن الزبير ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «دَبَّ إِلَيْكُمْ ذَا الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْبُغْضَاءُ وَالْحَسَدُ ، وَالْبُغْضَاءُ وَهِيَ الْخَالِفَةُ ، لَيْسَ خَالِفَةُ الشَّعْرِ لَكِنْ خَالِفَةُ الدِّينِ»<sup>(21)</sup>. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِيَّاكُمْ وَسُوءَ دَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْخَالِفَةُ»<sup>(22)</sup>.

• الذنوب السبعية: كذنوب العدوان، والغضب، وسفك الدماء، وغير ذلك. دليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ ﴿<sup>(23)</sup> و الْمُقْصُودُ مِنْ تَشْبِيهِ قَتْلِ النَّفْسِ الْوَّاحِدَةِ بِقَتْلِ النَّفْسِ ، الْمُبَالَغَةُ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ الْقَتْلِ الْعَمْدِ الْعُدْوَانِ وَتَعْظِيمِ شَأْنِهِ ، يَعْنِي كَمَا أَنَّ قَتْلَ كُلِّ الْخَلْقِ أَمْرٌ مُسْتَعْظَمٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَتْلُ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ مُسْتَعْظَمًا مَهِيْبًا فَالْمُقْصُودُ مَشَارَكَتُهُمَا فِي الْإِسْتِعْظَامِ ، لَا بَيَانُ مَشَارَكَتِهِمَا فِي مِقْدَارِ الْإِسْتِعْظَامِ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ مُسْتَعْظَمًا وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ ﴿<sup>(24)</sup>﴾<sup>(25)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما»<sup>(26)</sup>. قال البغا معلقا على الحديث: «فسحة من دينه» منشرح الصدر مطمئن النفس في سعة من رحمة الله عز و جل ، «ما لم يصب دما حراما» طالما أنه لم يقتل نفسا بغير حق .

• الذنوب البهيمية: فمثل الشره، والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يتولد الزنى، والسرقة، وأكل أموال اليتامى، وغير ذلك. دليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبُوا طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿<sup>(27)</sup> . عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ ، أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ : « لَوْ شِئْتُ أَنْ أَذْهَبَ طَيِّبَاتِي فِي حَيَاتِي الدُّنْيَا ، لَأَمْرْتُ بِجُدِّي سَمِينٍ فَطِيخٍ بِاللَّيْلِ » ، قَالَ أَبُو عَثْمَانَ : النَّاطِرُ إِلَى الدُّنْيَا بَعِينَ الرِّضَا وَالشَّهْوَةَ هُوَ الْأَخْذُ بِحِظِّهَا مِنْهَا وَالنَّاقِصُ حِظُّهَا مِنَ الْأَحْرَةِ بِقَدْرِهَا . <sup>(28)</sup> وَمِنَ السَّنَةِ : عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ ، قَالَ : أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيَّ ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ؟ قَالَ : أَيُّهُ آيَةٌ ؟ قُلْتُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَنَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا ، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : «بَلْ انْتَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُخًّا مُطَاعًا ، وَهُوَ مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ»<sup>(29)</sup>.

### المطلب الثاني: أثر الذنوب على القلوب:

لما كان القلب هو محط نظر الله تعالى، فإن الشريعة الغراء إهتمت به إهتماما بالغا، لذلك يقول الحق تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ﴿<sup>(30)</sup> . وفي الحديث عن النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسدت الجسد كله ألا وهي القلب " <sup>(31)</sup> . إن المعاصي والذنوب سبب رئيس للخوف والقلق والمصائب والفتن، قال الله تعالى محذرا من مخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَكُمْ لُؤَادًا فليَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿<sup>(32)</sup> . فإن من آثار المعاصي والذنوب حرمان العلم الشريف والنور والحكمة، والوحشة يجدها المؤمن في قلبه بينه وبين ربه، والوحشة يجدها في قلبه بينه وبين أهل الخير والعلم والفضل والصحة الصالحة، والظلمة تملأ القلب وتفيض عنه على الجوارح والوجه مما قد يوقع في البدع والكبائر ويحرم من الانس بالناس ورب الناس، يقول ابن عباس: إن للمعصية سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن وضيق في الرزق وبغض في قلوب الخلق <sup>(33)</sup> ، ويقول الحسن بن صالح: «العمل بالحسنة قوة في البدن، ونور في القلب، وضوء في البصر، والعمل بالسيسة وهن في البدن، وظلمة في القلب، وعمى في البصر»<sup>(34)</sup>.



٢. عن عبد الله بن بسرٍ رضي الله عنه " يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيْفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»<sup>(٤٧)</sup>.

٣. عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَعَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَإِنْ قَالَ بَعْدَ مَا يُمْسِي، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ قَالَهَا بَعْدَ مَا يُصْبِحُ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ"<sup>(٤٨)</sup>.

٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»<sup>(٤٩)</sup>.

### المطلب الثاني: أثر الاستغفار في صقل القلوب:

الاستغفار عبادة أمرنا الله بها، وحثنا النبي صلى الله عليه وسلم على العمل بها، وبين لنا فضلها وفائدتها على القلوب، التي هي مستودع نظر الله تعالى، ومحط الإمدادات الربانية، ووعاء الانوار الإلهية، ومن فوائد الاستغفار على القلوب أنه يصفلها، وينظفها من كدورات الذنوب، وسأذكر بعض الاحاديث التي تدل على ذلك:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سُودَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَغْلُوَ قَلْبُهُ ذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٥٠)</sup>»<sup>(٥١)</sup>
٢. عَنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً»<sup>(٥٢)</sup>.

ومعنى ليغان: ما يتغشى القلب، قال القاضي قِيلَ الْمُرَادُ الْفُتْرَاتُ وَالْغَفَلَاتُ عَنِ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَ شَأْنُهُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ فَإِذَا فُتِرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ قَالَ وَقِيلَ هُوَ هَمُّهُ بِسَبَبِ أُمَّتِهِ وَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهَا بَعْدَهُ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَقِيلَ سَبَبُهُ<sup>(٥٣)</sup>. يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: " إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرَّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ"<sup>(٥٤)</sup>. والاستغفار من اعظم الحسنات.

### الذاتية.

في خاتمة هذا البحث أستطيع أن أخص أهم ما توصلت إليه من نتائج، وهي كالآتي:

١. إن الاستغفار هو طلب العفو والمغفرة بصورة الانكسار والذل من العبد الى ربه، لعلمه أنه مطلع عليه، ولخشيتة منه، ومن مكره عليه.
٢. إن من أوثق عرى الايمان الاستغفار، بل هو من أول أبواب السير والسلوك الى الله تعالى، فإن التخلية عن الذنوب والمعاصي وهي عن طريق الاستغفار والتوبة، مقدمة على التحلية بالمقامات والاحوال السنية العلية.
٣. إن لله تعالى أسماء وصفات، وإن من إسمه "الغفار"، فلا يتجلى هذا الاسم إلى على عبد شعر بقصيره الى الله، فعمه الله تعالى بالمغفرة والعفو.
٤. ن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي غفر الله له ما تقدم وتأخر أنه كان يستغفر الله، ويتوب إليه، مرات عديدة، معلما أصحابه أن الاستغفار من هديه وسنته وإن كان مغفور الذنب، مرفوعا الى مقام القرب.
٥. إن الذنوب تغطي نور القلوب، وتطفئ سراجها، وهي داء عضال، وبلاء وخيم، على المجتمع، فبسببها تهلك الأمم، وتزال النعم، ويحل عليها من ربه الغضب والنقم، فكان علاج الذنوب هو الاستغفار، لكي تصقل القلوب، ويذهب الران الذي عليها، وتبتعد عن الغين الذي يصيبها.
٦. إن الاستغفار هو ديدن الصالحين، وسنة العارفين، وملاذ الخائفين، وتواضع المتذللين لعظمة الله رب العالمين، فمن أكثر الاستغفار دخل في حزبهم، وكان في جمعهم، وتولاه الله كما يتولاهم.

### الهوامش

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦: ٤/٣٨٥.

- (٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥ : ١٠/٩١.
- (٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤ : ١٩٨/٢٢.
- (٤) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء / ١٠ : ١١٣/٨.
- (٥) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١ : ١٨/١.
- (٦) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الذال وما يتصل بها، ص ١٨١.
- (٧) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤ : ٩٠/٢.
- (٨) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤ : ١٠٥٤/٣.
- (٩) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ٤/٢٩٤.
- (١٠) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء / ٤، تحقيق: عبد الرزاق المهدي: ٥٥٧/٣.
- (١١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٨ : ٢٧٤/١٤.
- (١٢) كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، عدد الأجزاء / ١ : ٥٩٥/١.
- (١٣) ينظر: الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، عدد الأجزاء: ١ : ٨١/١.
- (١٤) سورة الفرقان: آية ٦٨.
- (١٥) ينظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ١ : ٢٤٤/١.
- (١٦) سنن أبي داود: ٤ / ٥٩، برقم: ٤٠٩٠.
- (١٧) ينظر: الفوائد: ٨٢/١.
- (١٨) سورة الاسراء: آية ٦١.
- (١٩) ينظر: تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢هـ)، التحقيق: سيد عمران، الناشر: دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء ٢ : ٣٩٠/١.
- (٢٠) ينظر: تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩ هـ، عدد الأجزاء: ٣ : ١٤/٢.
- (٢١) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري

عبد الخالق الشافعي (حقوق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م): ١٩٢ / ٦، برقم: ٢٢٣٢، وروايات البزار ثقات.

(٢٢) الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م: ٢٤٤/٤، برقم: ٢٥٠٨، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَسُوءَ دَاتِ الْبَيْنِ إِنَّمَا يَعْنِي الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، وَقَوْلُهُ الْخَالِقَةُ يَقُولُ: إِنَّهَا تَخْلُقُ الدِّينَ.

(٢٣) سورة المائدة: من آية ٣٢.

(٢٤) سورة النساء: آية ٩٣.

(٢٥) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ: ١١ / ٣٤٤.

(٢٦) الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، عدد الأجزاء: ٦، مع الكتاب: تعليق د. مصطفى ديب البغا: ٢٥١٧/٦، برقم: ٦٤٦٩.

(٢٧) سورة الاحقاف: آية ٢٠.

(٢٨) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١٩٨/٣، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢هـ)، التحقيق: سيد عمران، الناشر: دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، الطبعة: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م: ٢٤٤/٢.

(٢٩) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م: ٣٩٦/٦، برقم: ٤٣٤١، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٣٠) سورة الشعراء: آية ٨٨-٨٩.

(٣١) الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري): ٢٨/١، برقم: ٥٢.

(٣٢) سورة النور: من آية ٦٣.

(٣٣) ينظر: مواقف حلف فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أبو محمد خميس السعيد محمد عبد الله، الناشر: بيت الأفكار الدولية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ١: ١٠٦/١.

(٣٤) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، عدد الأجزاء: ١٠: ٣٣٠/٧.

(٣٥) مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ. ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٦: ٣٠٤/٦، برقم: ٢٧١٣١. والحديث اسناده ضعيف.

(٣٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ: ٣٠٩/٢٤.

(٣٧) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمّد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٥: ١٥٠/٥، برقم: ٤٠١٩، الحديث حسن لغيره.

(٣٨) سورة الجاثية: آية ٢١.

- (٣٩) ينظر: الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، عدد الأجزاء: ١: ١٩٤/١.
- (٤٠) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الثُبَستِي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهرس): ٣٨٨/٢، برقم: ٦٢٢، والحديث صحيح.
- (٤١) سورة آل عمران: آية ١٧.
- (٤٢) سورة آل عمران: آية ١٣٥.
- (٤٣) سورة النساء: من آية ٦٤.
- (٤٤) سورة نوح: آية ١٠.
- (٤٥) سورة النصر: آية ٣.
- (٤٦) صحيح البخاري: ٢٣٢٤/٥، برقم: ٥٩٤٨.
- (٤٧) سنن ابن ماجه: ١٢٥٤/٢، برقم: ٣٨١٨، صحيح الاسناد.
- (48) صحيح البخاري: ٢٣٣٠/٥، برقم: ٥٩٦٤.
- (٤٩) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥: ٢١٠٦/٤، برقم: ٢٧٤٩.
- (٥٠) سورة المطففين: آية ١٤.
- (٥١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٩٧/٢، برقم: ٧٩٣٩، واسناده قوي جدا.
- (٥٢) صحيح مسلم: ٢٠٧٥/٤، برقم: ٢٧٠٢.
- (٥٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات): ٢٣/١٧.
- (٥٤) ينظر: مواقف حلف فيها النبي صلى الله عليه وسلم: ١٠٦/١.